الدعوة إلى الله تعالى[١]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال تعالى عن لقمان وابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم[٢] «**وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر صدقة**»، وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي[٣]، «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرًا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم**» أي بني إسرائيل المذكورين أول الحديث.

وفي الصحيح لمسلم وسنن النسائي[٤] وغيرهما عن النبي ﷺ: «**إن الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين**

---

(١) مجلة الإصلاح – العددان السابع والثامن – ١٥/ ٦/ ١٣٤٧هـ.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٢٠، ١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٢١٦٩) من حديث ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥)، والنسائي (٤٢٠٨)، وأبو داود (٤٩٤٤) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

وعامتهم». والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة.

والمقصود بالمعروف هنا المعروف من الشرع، وبالمنكر ما ينكره الشرع، وإلا فقد يكون للناس عادات قبيحة وبدع سيئة هي المعروف عندهم، حتى لو أنكرها عليهم عالم بالشرع لكفروه.

مثال ذلك: دعاء العوام وأشباه العوام أصحاب القبور، ونذرهم لها وطوافهم حولها زاعمين أن ذلك توسل إلى الله تعالى، وهو شرك محض، فمن أنكر عليهم قالوا إنه ينكر الكرامات ويبغض الأولياء وتقولوا عليه أكثر من ذلك.

وقد أضاع المسلمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تغلب أولوا الأهواء والشهوات المفسدون في الأرض، ورفعوا عقيرتهم بالدعوة إلى شهواتهم الشيطانية بدعوى المدنية والتجديد، فسموا تبرج النساء حرية وزينة وجمالًا، والحياء والحشمة والقرار في بيوتهن حبسًا وتأخرًا، والقائم بذلك من الرجال على نسائه متوحشًا ومستبدًا وجاهلًا، إلى غير ذلك من الألقاب.

وما دعوا إلى شهواتهم هذه الدعوة الخبيثة إلا في نومة أهل الحق واستكانتهم وغفلتهم عنه.

ومن الناس من يقوم بالأمر بالمعروف، فإذا أوذي في الله ترك وجعل فتنة الناس كعذاب الله.

ومنهم من يأمر بالشدة فينفر الناس من الدين ويكون ضرره أكثر من نفعه.

ومنهم من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر وهو يأتيه، كما رأيت ذلك في بعض البلاد؛ فترى أحدهم مثلًا ينهي عن المسكرات وهو شيخ الحشاشين ونديم السكارى.

وإنما يجب أن يكون المتصدر للأمر بالمعروف عالمًا بما يأمر عالمًا بما ينهي، عاملًا بما يأمر به تاركًا لما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر رفيقًا فيما ينهى، متحملًا لكل ما يقع عليه من الأذى صابرًا محتسبًا.

ولا يشترط في الآمر أن يكون عالمًا بكل مسألة في الدين ولا بكل علم من العلوم.

نعم ينبغي أن تؤلف هيئات من أهل العلم العاملين الغيورين على الدين والفضيلة ويجولون في كل مجتمع وفي كل مسجد بالوعد والخطابة بالقرآن والسنة.

وعلى العلماء أن ينكروا كل محرم شرعًا، وأن يبيعوا أنفسهم في هذا السبيل بيع سماح، وإلا فليدعوا هذا اللقب الشريف (العلماء) لغيرهم، وليعلموا أنهم لن يحترموا به إذا لم يحققوا معناه في أنفسهم، وتشهد له آثاره فيهم؛ من الغيرة وعزة النفس والزهد في الدنيا.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما[1]

على أهل العلم أن يعلموا أنهم عبيد الله وأنهم ما خلقوا إلا لعبادته والغيرة على دينه وإعزاز كلمته، فإذا علموا ذلك وباعوا نفوسهم في هذا السبيل عزوا في هذه الحياة وكانوا يوم القيامة من الفائزين.

ليس كل من لبس عمامة وجبة صار عالمًا، إنما العلماء هم الذين يخشون الله ويخافونه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

ليس من العلماء من يشكك في الدين وينكر ما صح من أحاديث سيد المرسلين، كأحاديث سؤال القبر ولا من ينكر شيئًا معلومًا من الدين

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٧١ من قول علي بن عبد العزيز الجرجاني رحمه الله.

بالضرورة، كالاسترقاق المشروع، أو حقيقة الشياطين، أو نحو ذلك، فأمثال هؤلاء يستحقون التأديب أو دخول مستشفى المجاذيب ويسأل لهم الشفاء، لا أن يتربعوا على كراسي التدريس وتجري عليهم مرتبات من أوقاف المسلمين.

ينبغي أن يكون في كل بلد إسلامي هيئة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا تعول على الأغنياء والأمراء، ولا تخاف الأذى من الناس أو المخلوقات المستهترة بأمر الدين أو المعادية له، فإن يد الله على الجماعة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

إن الذي يرى المنكر ويسكت عليه ولا ينكره إنما هو شيطان أخرس، بل هو شريك الفاعل، وقد بين الحديث الذي رواه مسلم[1] عن النبي ﷺ أن إنكار المنكر على ثلاث درجات: أعلاها الإنكار باليد، وأوسطها الإنكار باللسان، وأدناها بالقلب، وليس وراء ذلك مثقال حبة خردل من إيمان. قال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

ولولا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يضاد النفوس الشريرة، وأن الآمر يناله منها الأذى بكل ما تقدر عليه ما عقبت وصية لقمان لابنه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقد لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله وعدم تناهيهم عن منكر يفعلونه، وقيل لهم: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩] ولا ريب أن تلك اللعنة وهذا

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الذم ليس خاصًا بهم، بل هو لهم ولغيرهم من كل من يتحقق فيه وصفهم ويكون مثلهم فيما ذموا من أجله ولعنوا بسببه.

ونحن إذا حللنا نفسية علماء اليوم الساكتين على الشرك والزنا والخمر والربا وسب الدين وتبرج النساء وغير ذلك من الموبقات التي تخجل كل حر عاقل فضلًا عن متدين، لرأينا أن سبب ذلك شيئان: أحدهما؛ الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأمره وشرعه، والثاني؛ حبهم الدنيا وعدم إيمانهم بالآخرة.

فإذا سألتهم ما أسكتكم عن إنكار المنكر وأنتم مغمورون فيه، وهو واقع بين سمعكم وبصركم؟ أما لكم غيرة لله على دينه؟ ألستم الذين يقال لهم العلماء؟! اعتلوا بعلل واهية، واعتذروا بأعذار ساقطة، فمنهم من يقول: الحكومة هي التي في يدها القوة، وهي التي أباحت هذا المنكر ولا قدرة لنا بالوقوف في وجهها ومنعها. ومنهم من يقول: الأغنياء شحوا بأموالهم وأنفقوها على شهواتهم وهذا الأمر لا يقوم إلا بالمال، ومنهم من يقول غير ذلك على هذا النحو. والحقيقة كما أخبرتك آنفًا.

ولا عذر لأحد بالسكوت اتكالًا على فرد واحد ينكر في أمة كلها أو جلها مخالف أمر الله مستحق لعقوبته.

وإنما فرض الكفاية الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين يقال عند اتساق الأمر وحصول الكفاية بذلك الفرد أو الأفراد فأما إذا لم يكف مائة ولا ألف فالواجب أن يقوم من تحصل به الكفاية وينقمع به المنكر وأهله.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *